

تفسير البغوي

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^ص
قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ^ج إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ^ج تَعَلَّمَ مَا
فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ^ج إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ

قوله عز وجل : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من

دون الله) واختلفوا في أن هذا القول متى يكون ، فقال السدي : قال الله تعالى هذا القول

لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف " إذ " يكون للماضي ، وقال سائر

المفسرين : إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله [من قبل] (يوم يجمع

الله الرسل) (المائدة ، 109) . وقال من بعدها (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) (

المائدة ، 119) ، وأراد بهما يوم القيامة ، وقد تجيء " إذ " بمعنى " إذا " كقوله عز وجل

: (ولو ترى إذ فرعوا) أي : إذا فرعوا [يوم القيامة] والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها

كالكائنة لأنها آتية لا محالة . قوله : (أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)

؟ فإن قيل : فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟ قيل هذا السؤال

عنه لتويخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله ، إعلاما واستعظاما لا استخبارا واستفهاما .وأیضا : أراد الله عز وجل أن يقر [عيسى عليه السلام عن] نفسه بالعبودية ، فيسمع قومه ، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك ، قال أبو روق : وإذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم ، ثم يقول مجيبا الله عز وجل : (قال سبحانك) تنزيها وتعظيما لك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) قال ابن عباس : تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك ، وقيل معناه : تعلم سري ولا أعلم سرك ، وقال أبو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة ، وقال الزجاج : النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته ، يقول : تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك ، (إنك أنت علام الغيوب) ما كان وما يكون .